[١٧٧ – عن أبي موسى عبدالله بن قيسٍ – رضي الله عنه –: أن رسول الله ﷺ بريء من الصالقة والحالقة والشاقة.

قال – رضي الله عنه –: الصالقة: التي ترفع صوتها عند المصيبة].

ذكر المصنف – رحمه الله – حديث أبي موسى الأشعري – رضي الله عنه وأرضاه –، والذي اشتمل على الوعيد والزجر عن أمورٍ لا يجوز للمسلم أن يفعلها عند المصيبة، ولما كان كتاب الجنائز يشتمل من حيث الأثر على ما ينبغي على المسلم من الصبر عند المصيبة واحتساب الأجر عند الله ﷻ ، ناسب أن يعتني المصنف – رحمه الله – بذكر هدي النبي ﷺ في النهي عن الصلق، وكذلك حلق الشعر عند نزول البلاء.

وهذا الحديث يعتبر من هدي النبي ﷺ الذي قُصد منه سد الذريعة، قال بعض العلماء – رحمهم الله –: إن حلق الشعر عند المصيبة، والصراخ والعويل وشدة الفزع يدل دلالةً واضحةً على ضعف إيمان العبد، ولربما كان – والعياذ بالله – تسخطاً على القضاء والقدر، ومن هنا اعتنى العلماء والأئمة الأجلاء بهذا الحديث الشريف وما اشتمل عليه من أحكامٍ، ومن تأمل نصوص الكتاب والسنة، وهدي الشريعة والملة، فإنه يجده هدياً وسطاً بين الإفراط والتفريط، فالشريعة الإسلامية لم تكبت مشاعر الناس، ولم تحجزهم عن أمورٍ لا يملكون دفعها، وكذلك أيضاً: لم تفتح الباب على مصراعيه حتى تصبح الأمور مبالغاً فيها إلى حدودٍ قد تهدم عقيدة المسلم وتؤثر في إيمانه بالله ﷻ. ومن هنا: كان هدي النبي ﷺ إذا نزلت المصيبة والفاجعة، فاضطرب لها المؤمن من فقد لمن يحب، وتأثر بذلك الفقد، كان هديه – عليه الصلاة والسلام – أكمل الهدي وأحسنه وأجمله، فهو الهدي الوسط الذي لا إفراط فيه ولا تفريط، فما كان – بأبي وأمي صلوات الله وسلامه عليه – صخاباً، ولا لعاناً، ولا متفجعاً، ولا متوجعاً زائداً عن الحدود الشرعية، وما كان – عليه الصلاة والسلام – إلا على أحسن الأحوال وأتمها وأفضلها، والمصائب تهز القلوب، وتفجع النفوس، وتقلق الأرواح، ولذلك لابد من الوسطية في معالجتها، واحتساب الأجر عند الله ﷻ فيها.

وقد جاءت هذه الوسطية في كلماتٍ طيباتٍ من رسول الله ﷺ حينما فُجع بفلذة كبده فاحتسب الأجر عند الله، وقال تلك الكلمات الطيبات المباركات؛ هدياً لأمته ونوراً لأتباعه – صلوات الله وسلامه عليه –، قال –

عليه الصلاة والسلام –: (إن العين لتدمع، وإن القلب ليخشع، ولا نقول إلا ما يرضي الرب، وإنا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون) فأثبت – بأبي وأمي صلوات الله وسلامه عليه – الفطرة التي خلق الله الناس عليها من تأثر القلوب، فكان بذلك مثالاً بيناً كاملاً على كمال مشاعره وأحاسيسه، وليس كأصحاب القلوب الميتة التي لربما فُجع أصحابها بأعز الناس وأحبهم، ومع ذلك لا يتحرك فيهم ساكنٌ؛ لأنها قلوبٌ ميتةٌ، ولربما نسيت العهود وابتعدت عن الوفاء، ولم يكن – عليه الصلاة والسلام – زائداً عن الحد وهو يقول: (إن العين لتدمع، وإن القلب ليخشع، ولا نقول إلا ما يرضي الرب) فلا يسمع الله من وليه المؤمن إلا الصبر والاحتساب، ورجاء حسن العاقبة والمآب من الله رب الأرباب. (ولا نقول إلا ما يرضي الرب) فأعطى النفس حقها في مشاعرها وآلامها وأحاسيسها، فلربما فُجع الإنسان بأعز الناس عليه: من أمٍّ حنونٍ طالما أحسنت وبرت وأكرمت، ولربما فجع بوالدٍ كريمٍ طالما ربى وأحسن – بعد الله – وأولى، ولربما فجع بفلذة كبده من ولدٍ كان بهجةً لناظريه، ولربما فجع بصديقٍ، مع بُعده وكونه غريباً عنه، قد يكون أعز عليه من أقرب الأقربين.

اثنان لو بكت الدماء عليهما عيناك حتى يؤذنا بذهاب

لم يبلغ المعشار من حقيهما فقد الشباب وفرقة الأحباب

فمعاشرة الأقرباء، ومعاشرة الخلان والأصدقاء، عظيمة الوقع في النفوس، فإذا فُجع الإنسان بأمثال هؤلاء الأعزة الأحبة: فإن قلبه يخشع، وعينه تدمع، ولكن ينبغي أن لا يقول إلا ما يرضي الرب، وهذه هي الوسطية لم تُكبت مشاعر الناس، ولم يُفرض عليهم ما لا يطيقوه وما لا يتحملوه، فإنه من كمال إيمان العبد: حسن الوفاء، ومن الوفاء: أن يذكر الإنسان فضل ذي الفضل، سواءً كان من الأقربين أو كان من الأبعدين، ولذلك كان الإمام أحمد – رحمه الله – يقول لأحد أبناء شيوخه: أبوك أحد الستة الذين أدعو لهم في صلاتي. فحفظ العهد من الإيمان، كما أخبر النبي ﷺ. والحزن والتفجع والتوجع الذي لا يزيد عن الحدود الشرعية مأذونٌ به شرعاً، بل جاء هدي النبي ﷺ ؛ لكي يبين أن العين إذا دمعت، والقلب إذا خشع عند فراق الأحبة والأعزة: أن ذلك إنما هو رحمةٌ أسكنها الله في قلوب عباده، ففي الحديث الصحيح عن النبي ﷺ: أنه رُفع إليه ابنه فإذا نفسه تقهقع وهي في آخر لحظاتها من الدنيا، فلم يملك – عليه الصلاة والسلام – أن فاضت عيناه من الدمع، فقال له سعد بن عبادة – رضي الله عنه –: ما هذا يا رسول الله؟ قال: (رحمةٌ أسكنها الله في قلوب

عباده، إنما يرحم الله من عباده الرحماء) الرحمة إذا سكنت في القلوب ظهرت آثارها على القوالب، فلا حرج ولا عتب على المؤمن أن تفيض عينه من الدمع؛ لكي يودع عهوداً خلت في أزمنةٍ مضت، ولكي يُترجم عن المحبة وعظيم المصاب في العزيز لديه، بل إن هدي النبي ﷺ في حفظه للعهد، ورقة قلبه، ودمعة عينه عند فراق العزيز، كان على أتم ما يكون، فإذا فُجع بأصحابه بكى – عليه الصلاة والسلام –، ففي الحديث الصحيح عنه – عليه الصلاة والسلام –: [......] فهذه الأحاديث عن رسول الله ﷺ تدل دلالةً واضحةً على أنه لا حرج أن يتألم العبد لفراق الأقربين والأبعدين، فدمعت عينه لفراق ابنه ﷺ ، ولم يقل إلا ما يرضي الرب. وأقر كذلك – عليه الصلاة والسلام – دمعة الابن لفراق أبيه، ففي الصحيحين من حديث جابر بن عبدالله – رضي الله عنهما –: أن أباه عبدالله بن حرامٍ استشهد يوم أحدٍ، وكان عبدالله – رضي الله عنه وأرضاه – كان من الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه، فقضى نحبه راضياً مرضياً عنه، فلما قبضت روحه جعل جابر – رضي الله عنه – يكشف الثوب عن وجه أبيه فيبكي حين يراه، وجعلت عمته فاطمة – رضي الله عنها – تكشف وجه أخيها وتبكي، فقال ﷺ: (ابكيه أو لا تبكيه، مازالت الملائكة تظله حتى رفعتموه). فأقر – عليه الصلاة والسلام – البكاء على فراق الوالد، وأقر البكاء على فراق الأخ العزيز، وكذلك فعل – عليه الصلاة والسلام – ذلك فأثبت كمال هديه، فها هو – عليه الصلاة والسلام – يدمع لفراق أصحابه الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه، فلما حضرت الوفاة سعد بن معاذٍ – رضي الله عنه وأرضاه – الذي أبلى عظيم البلاء في نصرة دين الله، حتى كان – رضي الله عنه وأرضاه – لا يبالي بنفسه في نصرة هذا الدين، وهو الذي اهتز عرش الرحمن لوفاته، دخل عليه – عليه الصلاة والسلام – وقد أغشي عليه، فظن أنه قد قضى، فبكى – عليه الصلاة والسلام – ودمعت عيناه.

وكذلك كان هديه – عليه الصلاة والسلام – في حفظ العهد بالحزن الذي لا يجاوز الحدود حتى مع الزوجة، فهذه حادثة بدرٍ حينما أُرسل الفداء إلى رسول الله ﷺ في أسارى المشركين، وكان من الأسارى: أبو العاص – رضي الله عنه وأرضاه –، وكانت زوجه زينب – وهي أكبر بنات رسول الله ﷺ –، فلما أُخذ أبو العاص أسيراً أرسلت زينب – رضي الله عنها – الفداء، وكان الفداء عبارةً عن أسورةٍ، وهذه الأسورة لأم المؤمنين خديجة رضي الله عنها وأرضاها – قيل: إنها أعطتها لابنتها قبل وفاتها –، فلما جاءت هذه الأسورة، ونظر إليها رسول الله ﷺ: دمعت عيناه، وتذكر زوجه – صلوات الله وسلامه عليه –، وقال لأصحابه: (إن استطعتم أن

تطلقوا لهذه أسيرها فافعلوا) كل ذلك يدل دلالةً واضحةً على أن بكاء المؤمن، ودمع عينه، وخشوع قلبه لفراق الحبيب العزيز من قريبٍ أو غريبٍ، فإنه لا عتب عليه ولا ملامة، وأنه من هدي النبي ﷺ ، بشرط: أن يكون القلب مطمئناً بالله، راضياً محتسباً للأجر عند الله – سبحانه –، ولذلك قال العلماء: إنه لو كان الإنسان في مثل هذه المواطن: يفقد أمه، ويفقد إخوانه، وأعزته، والأقربين ولا تدمع عينه، لكان ذلك من أسوأ ما يكون في نسيان العهد ونسيان الفضل، ولذلك قالوا: لا تجمد العين ولا يعصي الدمع على الإنسان إلا في أسبابٍ، فقد يمتنع المؤمن من البكاء وتمتنع عينه من الدمع؛ لئلا يشمت به الحاسدون، ولكي يغيظ الأعداء، كما قال أبو ذؤيبٍ – رضي الله عنه وأرضاه –:

وتجلدي للشامتين أريهمُ أني لريب الدهر لا أتضعضع

فمن شيمة الصبر، ومن قوة الصبر: عدم بكاء الإنسان إذا كان قوي الإيمان واليقين، وقصد من ذلك المقاصد الحسنة.

ما لي أراك عصي الدمع شيمتك الصبر ....

فالصبر إذا سكن في القلوب أثر في القوالب، ولكن لا أكمل من هدي النبي ﷺ الذي جاء بالسماحة واليسر، وجاء بنفي الحرج عن العباد، هذا بالنسبة لما أذن الله به: أن يخشع القلب وأن تدمع العين، وبيّن ﷺ أن الله لا يعذب بدمع العين ولا بالبكاء، ولكن يعذب باللسان، فاللسان إذا أطلقه العبد: فتسخَّط، وتفجَّع، وتوجّع، وردَّ القضاء والقدر، وأصبح يتهم ربه، أو يدعو على نفسه – والعياذ بالله –، فعندها إذا سخط عن الله سخط الله عليه، قال ﷺ: (إن الله إذا أحب قوماً ابتلاهم: فمن رضي فله الرضا، ومن سخط فعليه السخط) فإذا كان اللسان جريئاً على الله، جريئاً على حدود الله: خرجت منه الكلمات الموبقات المهلكات، فأودت بصاحبها إلى النار، قال – صلى الله عليه وسلم –: (إن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله ما يلقي لها بالاً، يهوي بها في نار جهنم أبعد مما بين المشرق والمغرب) فالله يعذب باللسان، فإذا تسخط وتوجع وأصبح يغالب القدر، ويتكلم بالكلمات التي فيها الهمز واللمز وعدم الرضا عن الله ﷻ: هلك وأهلك غيره ممن يقتدي به.

وكانت العرب في جاهليتها الجهلاء، وضلالتها العمياء: إذا مات فيهم الرجل تحدثوا بمآثره، فأصبحت المرأة في عويلٍ وصراخٍ، تقول الذي لا يليق، وتفعل ما لا يليق، كل ذلك من جهلهم بالله واعتدائهم لحدود الله، فلما بعث الله نبيه ﷺ بالهدى وأخرج الله به الناس من الظلمات إلى النور، دلَّهم على حقائق الأمور: أن البكاء لا يرد من ذهب، وأنه لا يحيي من مات، وأن الصبر والرضا واحتساب الأجر عند الله – جل وعلا – فيه حسن الخلف من الله ﷻ ، فكم من فائتٍ رد الله أحسن منه، قالت أم سلمة – رضي الله عنها وأرضاها –، وقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: (ما من مسلمٍ تصيبه المصيبة، فيقول: إنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم أجرني في مصيبتي واخلف لي خيراً منها، إلا آجره الله في مصيبته وأخلف عليه خيراً منها) قالت أم سلمة – رضي الله عنها – : "فلما توفي أبو سلمة، قلت ما قال رسول الله ﷺ ، ثم قلت: ومن خيرٌ من أبي سلمة؟ فعوضني الله رسول الله ﷺ ". فنالت بذلك سعادة الدنيا والآخرة، وأخلف الله عليها برسول الله ﷺ ، والله عند حسن ظن عبده به، فالنكبات والمصائب والبليات سلطها الله على المؤمنين والمؤمنات: تُرفع بها الدرجات، وتُكفّر بها الخطيئات، وتضاعَف بها الحسنات، وتحسن بها العاقبة بعد الممات، فإذا فُجع ولي الله المؤمن في عزيزٍ عليه: تلقى ذلك وقلبه يستشعر أن الله قد كتب عليه ذلك قبل أن تُخلق السماوات والأرض، فاحتسب عند الله حسن الثواب، وعلم أن هذا تدبير الله ﷻ ، وأنه عطيةٌ من الله أخذها الله متى شاء، وكيف شاء، فتلقى ذلك بالصدر الرحب والنفس المطمئنة، فزاده الله ثباتاً إلى ثباته وقوةً إلى قوته، فثبَّته الله ﷻ ، فاطمأن قلبه بذكر الله.

فكم من مصائبٍ عادت على أهلها بخير الدين والدنيا والآخرة، وكم من فواجعٍ وفوازعٍ عادت على أهلها بطمأنينة الدنيا والآخرة، فالله هو الذي يدبر هذا الملكوت ويدبر الخلائق ﷻ، وما ظنك إذا كان الذي يدبر الأمور – سبحانه – أرحم بخلقه من خلقه بأنفسهم؟! وما ظنك إذا كان الحليم الرحيم الجواد الكريم؟! فمن أحسن ظنه بالله فإن الله لا يخيب ظنه. وكم من إنسانٍ لا يحب أن يفقد العزيز عليه، ولكن الله يعلم أن بقاء هذا العزيز – لو بقي – فيه شرٌّ له من حيث لا يدري ﴿ وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴾ فالله يعلم ونحن لا نعلم، ولذلك هذه الوسطية التي كانت في هدي النبي ﷺ هي الخير كله، الخير كله في اتباعه – عليه الصلاة والسلام –، وتلقي المصائب والمصاعب والفواجع والفوازع: أن يتلقاها المؤمن بالإيمان بالله، وليس هناك أعظم

من الإيمان، ولذلك قرن الله الإيمان بالبلاء، فقال تعالى: ﴿ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ﴾ فمن آمن بالله عند المصيبة ونزول البلاء، فإن الله يهديه للصبر ويثبته، قال ﷺ: (ما أعطي عبدٌ عطاءً أفضل من الصبر) وقال عمر بن الخطاب – رضي الله عنه وأرضاه –: "وجدنا ألذ عيشنا في الصبر". قال بعض العلماء: ثلاثٌ هي سعادة العبد في الدنيا والآخرة: إذا أعطي شكر، وإذا ابتلي صبر، وإذا أذنب أناب واستغفر. ثلاثٌ إذا أعطاه الله للعبد أعطاه السعادة، إذا أعطي شكر: فيشكر الله ولا ينسى نعمة الله عليه، وإذا ابتلي صبر: فتلقى الكوارث والمصائب بنفسٍ مطمئنةٍ واثقةٍ بالله ﷻ ، وإذا أذنب: تذكر سعة رحمة الله وعظيم عفو الله، فاستغفر وأناب إلى الله، وفي الحديث الصحيح: (أذنب عبدٌ ذنباً، فقال: رب اغفر لي. فقال الله: علم عبدي أن له رباً يأخذ بالذنب ويعفو عن الذنب، قد غفرت لعبدي) فالصبر نعمةٌ من الله ﷻ.

وبهذه الوسطية يسلم المؤمن من العناء والمشقة والبلاء، ويصبح ضيق الدنيا عليه سعةً، ويصبح همها وغمها رحمةً عليه من حيث لا يحتسب، ولذلك أخبر الله – تعالى – أن من اتقاه: جعل له من كل هم فرجاً، ومن كل ضيق مخرجاً، قال بعض العلماء: ومن تقوى الله أن يتجلد بالصبر.

في هذا الحديث الشريف بيانٌ من النبي ﷺ بأكمل عبارةٍ وأحسن إشارةٍ، بيانٌ منه – عليه الصلاة والسلام – فيه شيءٌ من التهديد والوعيد أن يرتكب المسلم أمور الجاهلية إذا نزلت به المصائب، ولرواية أبي موسى الأشعري – رضي الله عنه – لهذا الحديث قصةٌ: حيث إنه لما حضرته الوفاة، أغشي عليه واشتد عليه المرض، فصاحت امرأة من نسائه، وتفجعت وتوجعت، فكان أبو موسى – رضي الله عنه وأرضاه – في شدة الألم وشدة المرض، فلم يستطع أن يرد عليها، فلما أفاق – رضي الله عنه وأرضاه – قال: أنا بريءٌ ممن برئ منه رسول الله ﷺ: [**إن رسول الله ﷺ برئ من الصالقة والحالقة والشاقة**] فقد سمع المرأة وهي تصيح عليه، فأعذر إلى الله وأدى الأمانة، وبلغ ما أمره الله ببلاغه، فأنكر المنكر، وقال: أنا بريءٌ ممن برئ منه رسول الله ﷺ ، وهذا يدل على فضل هذا الصحابي الجليل، وفضل أصحاب رسول الله ﷺ – رضي الله عنهم أجمعين – ، كانوا لا يقدمون ولا يؤخرون عن هدي رسول الله ﷺ وسنته. فهذه زوجته في أشد الأحوال وأشد الظروف، ومع ذلك لم يجاملها، وقال لها في وجهها: أنا بريءٌ ممن برئ منه رسول الله ﷺ. ما جاء يقول: هي حزينةٌ، مشاعرها صعبةٌ!! إنما صدع بالحق، وقال في وجهها – وهو في آخر حياته –: أنا بريءٌ ممن برئ منه رسول الله

ﷺ. [**إن رسول الله ﷺ برئ من الصالقة**] و"الصالقة": اسم فاعلةٌ من الصلق، والصلق: هو رفع الصوت، وقالوا: كانت العرب في الجاهلية إذا نزلت المصيبة بالمرأة صاحت: واعضداه، واسنداه، وارجلاه. فأصبحت تصيح بفضائل ميتها، أو تصيح – والعياذ بالله – بالثبور والهلاك، فتقول: واهلاكاه، وامصيبتاه، واكرباه، ونحو ذلك من التفجع والتوجع الذي يصحب بالتسخط على القضاء والقدر.

فقال – رضي الله عنه –: [**إن رسول الله ﷺ برئ**] والبراءة من رسول الله ﷺ عظيمةٌ، فما برئ النبي ﷺ من أحدٍ إلا برئ الله ﷻ منه، ومن كان قد برئ الله منه ورسوله فلا تسأل عن حاله – والعياذ بالله –.

قال بعض العلماء: إن هذه الأمور التي اشتمل عليها هذا الحديث تؤثر في العقيدة؛ لأنها لا يفعلها مؤمنٌ بالله ﷻ ، وهي تدل على ضعف الإيمان، وتدل كذلك على التسخط على القضاء والقدر، وإذا تأملت هذا الحديث وجدت جوامع كلمه – عليه الصلاة والسلام –، فالذي يتسخط ويتوجع لا يخلو من حالتين:

الحالة الأولى: أن يكون السخط وإظهار الجزع بالقول.

والحالة الثانية: أن يكون بالفعل.

ثم إذا كان بالفعل: إما أن يفعل في جسده شيئاً، أو يفعل فيما يحيط به، فجاءت السنة بالثلاثة الأمور، فقال: [**برئ من الصالقة**] وهذا القول الذي يصدر من الإنسان. وأما الفعل المتصل بالجسد [**الحالقة**]؛ لأنها حلقت الشعر، فعبَّرت عن سخطها على القضاء والقدر بإتلاف شيءٍ من جسدها. ثم [**الشاقة**]: وهي التي تفعل فعلاً فيما هو ليس من الجسد، وإنما هو منفصلٌ عن الجسد. فجمع النبي ﷺ لهذه الكلمات الجامعة جميع أحوال التسخط والتفجع، فيستوي أن يكون في اللسان، أو يكون في الجوارح والأركان، أو يكون فيما يحيط بالشخص.

فأما قوله: [**الصالقة**] فهو أصلٌ في تحريم كل قولٍ فيه تسخطٌ وتفجعٌ وتوجعٌ على القضاء والقدر، وأن المنبغي على المؤمن: أن يذكر الله عند المصيبة، وأن لا يصيح وأن لا يلغط، وأن لا يجهل وأن لا يصخب، وإنما يقول ما هو مأثورٌ عن النبي ﷺ: (إنا لله وإنا إليه راجعون) ونحو ذلك من الأذكار التي يثبت الله بها قلبه ويسدد بها لسانه.

وأما بالنسبة للحالقة: فهي مأخوذةٌ من الحلق، والحلق يكون في الشعر، وكانت العرب في الجاهلية إذا نزلت المصيبة بالمرأة في زوجها أو ولدها أو أخيها، وأحبت أن تعبر عن عظيم المصيبة: حلقت شعرها – والعياذ بالله –، فأصبحت كالرجل، فأصبح هذا الفعل محرماً من وجوهٍ: أولاً: كونه مؤثراً في العقيدة؛ لأن الواجب على المسلم: أن يرضى بالقضاء والقدر، وهذا الفعل فيه تسخطٌ وتذمرٌ من القضاء والقدر.

وأما الأمر الثاني: فإنها إذا حلقت شعرها تشبهت بالرجال، فالرجل هو الذي يحلق شعره، وقد خلق الله للأنثى زينةً في شعرها، فهي ليست كالرجل تحلق شعرها، أو تقصه قصاً بيناً يشابه الرجال، بل عليها أن تبقى على أنوثتها وفطرتها التي أبقاها الله عليها.

وكانوا في الجاهلية أيضاً: ربما قصت المرأة من الشعر، وهذا يحدث في حال الثأر، فالمرأة إذا قُتل زوجها أو قُتل ابنها، أخذت المقص والمشاقص فقصَّت أكثر شعرها، وكأنها تخاطب أولياءها: أنها لن تترك شعرها حتى ترتاح ويطمئن قلبها بالثأر. فهذه الأفعال: من حلق الشعر أو قص الشعر كلها من أمور الجاهلية، ولا يجوز للمؤمنة أن تفعل شيئاً من ذلك. وذكر رسول الله ﷺ النساء؛ لأن الصبر فيهن أقل من الرجال، وإلا فالحكم من حيث التسخط، والتفجع والتوجع، ورد القضاء والقدر: كل ذلك شامل للرجال والنساء، وقد يكون بعض الأحيان بعض المصاب: يكون الرجل فيه أضعف من المرأة – نسأل الله السلامة والعافية –، فيقول ما لا يجوز قوله.

ولذلك ذكر العلماء أنه يجب على المسلم أن يتحفظ في كلامه، وأن لا يدعو خاصةً عند المصيبة، وخاصةً عند نزول الموت، فقد ثبت عن النبي ﷺ: أنه لما دخل على أبي سلمة – رضي الله عنه وأرضاه – وقد قضى وقُبضت روحه، سمع الصوت من داخل الدار، فقال ﷺ: (لا تدعوا على أنفسكم؛ فإن الملائكة يُؤَمنون على ما تقولون). ولذلك لا ينبغي للمؤمن ولا للمؤمنة إذا نزل الموت للعزيز والقريب أن يقول إلا خيراً، وأن لا يدعو على نفسه حتى في عموم الأمور، كما عتب الله ﷻ على من فعل ذلك، فقال سبحانه: ﴿ وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ ۖ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا ﴾ فقد يدعو على نفسه بالهلاك ولا يجوز له ذلك، وهذا من الإساءة إلى النفس، وقد بين النبي ﷺ أن للنفس على الإنسان حقوقاً، فيجب عليه أن يحفظ حقها، وأن لا يتسبب في إدخال الضرر عليها بدعوةٍ تكون سبباً في شقائها وعذابها.

وأما قوله - عليه الصلاة والسلام -: [**والشاقة**] فهي التي تشق ثوبها عند المصيبة. وشق الثوب يأتي على صورٍ، منها: أن المرأة كانت إذا فجعت أو نزلت بها المصيبة: أمسكت بثوبها من جهة الصدر فشقت جيبها، فيشق الثوب إلى نصفين، وهذا محرمٌ على الرجال والنساء، وهو من كبائر الذنوب في حال الفاجعة ونزول المصيبة، فلا يجوز فعله لا من الرجل ولا من المرأة. وكذلك من الرجال، كانوا يفعلون في الجاهلية إذا نزلت المصيبة: خلع الرجل ثوبه ولم يبق إلا بملابس معينةٍ؛ حتى يبين أنه في حالة كربٍ وخطبٍ، وهذا لا يجوز. المؤمن أرفع وأعز وأكرم من أن يفعل هذه الأفعال المشينة، والتي تدل على الخور والضعف. هذب الإسلام أخلاق المسلمين وقوّمهم في أشد الأحوال وأحلك الظروف، أن يكونوا - أثبت ما يكونوا - قلباً وقالباً، فلا يصدر منهم من الأقوال والأفعال إلا ما يرضي الله - ذي العزة والجلال -.

قال - رضي الله عنه -: [**أن رسول الله ﷺ برئ**] هذه الجملة تدل على كمال هدي النبي ﷺ ومنهجه في التربية، فالشريعة الإسلامية لها أساليبُ تشحذ الهمم لامتثال أوامر الله وأوامر رسوله ﷺ ، ولها أساليبُ تنفر من المحرمات، وتبعد المؤمن وتجعل نفسه تنفر مما حرم الله، وكان هدي الكتاب والسنة على ذلك، وهو أكمل الهدي في التربية: أنك إذا جئت تنهى الشخص عن الشيء المحرم، أو الشيء الذي لا ينبغي: تذكر أمراً ينفره منه، إما بوصفه، وإما بالمثال بالصفة أو التشبيه. فتارةً ينفر الله من المحرمات بذكر الشبه والمثيل: فيضرب المثل للإنسان بأبشع صورةٍ تجعله ينفر من الحرام، فنهى عن الغيبة، وقال سبحانه: ﴿ **وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ** ﴾فصوَّر أكل لحوم الناس وانتهاك أعراضهم في حال غيبتهم بمن يأكل لحوم الموتى، وهذا من أبشع ما يكون.

وهذا رسول الله ﷺ لما أراد أن يحقِّر الدنيا في قلوب المؤمنين: جعلها أهون عند الله ﷻ من البعوضة، فقال ﷺ: (لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة) وليست البعوضة نفسها، بل قال: (لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضةٍ، ما سقى الكافر منها شربة ماء) وضرب المثال بها بالجدي الأسكّ الميت.

وكذلك هدي القرآن: تجد نصوص الكتاب تنفر من المحرمات حتى ولو بالوصف، حتى إن الله ﷻ يجعل المؤمن ينفر مما حرمه عليه، ويجعل مشاعره تنفر من ذلك الأمر الذي حرمه الله ﷻ ﴿ **إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ**

بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾ فيذكر العواقب الوخيمة لما حرم.

كذلك ينفر بذكر العذاب – وهو نوعٌ ثالثٌ من أنواع التنفير –: كقوله – تعالى – حينما يصور من انتهك حده وحرمته بمن يعذب في نار جهنم: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴾ فصور الله ﷻ من يقذف الطعمة المحرمة من أموال اليتامى في جوفه كمن يقذف نار جهنم في جوفه – نسأل الله السلامة والعافية–. فهذه أساليبُ تنفر مما حرم الله، فرسول الله ﷺ كان بالإمكان أن يقول: حرامٌ عليكم أن تفعلوا كذا وكذا، ولكن قال أبو موسى – رضي الله عنه –: [**أن رسول الله ﷺ برئ**] ومن هذا الذي يرضى أن يكون الله ورسوله بريئاً منه ﷺ ، بل كل مؤمنٍ بالله واليوم الآخر يتمنى أن يرضى الله عنه، ويرضى عنه رسوله ﷺ ، فهذا أسلوب تنفيرٍ، فجاء الحديث الشريف بهذا الأسلوب النبوي الرفيع الذي ينفر مما حرم الله ﷻ.

وفي هذا الحديث الثلاثة الأحوال، فيحرم على المسلم أن يقول ما لا ينبغي، أو يفعل في جسده أو يفعل في ثيابه، ففي الثوب إذا شقه: أتلف الثوب، وتسخط على القضاء والقدر، ولا يجوز للمسلم أن يضيع الأموال، فمع كون الإسلام يحرم هذه الأمور على مستوى الفرد، كذلك يحرم على مستوى الجماعات والأمم والشعوب المسلمة إذا نزلت بها البلايا: أن تفعل أفعالاً في ظواهرها لا تليق بمن رضي بقضاء الله وقدره، فهذا رسول الله ﷺ فجعت به الأمة: فما كان عليه من حدادٍ، وما غير أصحاب رسول الله ﷺ أمورهم، ولكن جعلوا هديه وسنته – صلوات الله وسلامه عليه – والتفتوا إلى الأهم، وأخذوا فيما يجب عليهم أن يأخذوا به، فأخذوا بسنته وأقاموا الأمور على شريعته – صلوات الله وسلامه عليه – وهديه، فنالوا بذلك سعادة الدنيا والآخرة.

فينبغي للمسلم أن يحافظ على هذا الهدي الكريم من دين الله ﷻ ، والذي دل على أن الأصل والواجب على المسلم: أن يتلقى المصائب بالرضا، وأن يحتسب الجزاء عند الله – جل وعلا –.